مفهوم معنى كلمة «الأمس واليوم»

الحمد لله والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن وبعد.

متّع الله على الإنسان بنعم كثيرة وميزه عن غيره بالنطق وفهم الكلام وإدراك معانيه ومقاصده فهو ذو قدرة في تعبير وتوصيل المعلومات إلي غيره.

والمتتبع في أحداث الجارية في الصومال يجد في الساحة الدعوية كلمات مستوردة يستخدم أصحابها لمقاصد سيئة والغاية من ذلك إما لتأييد حزب أو تفنيده ولو كلّف الأمر أن يقعوا في أعراض العلماء والنيل من شخصهم مع كونهم لا يأخذون بعين الإعتبار ما يترتب من كلامهم ومن شؤم هذه الكلمة ـ الأمس واليوم ـ صنفت الناس إلى صنفين إلى ربّاني مجاهد وإلى منتكِسٍ متلوّن.

ولا شك أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء إلا أن كثيرا ممن يستخدم هذه الكلمة أعني ـ شيخ فلان الأمس واليوم ـ أقل الاحتمالات ليسوا منصفين على اطلاقها ولم يتخلقوا بالآداب الإسلامية بل الباعث من ذلك مجرد اتباع الهوى فكلامهم غير معتبر شرعا إذ لا يقبل شهادة فاسق اعتاد في طعن العلماء والشتم والغيبة فكيف السبيل إلى قبول قول من ظهرت فيه علامات الفجور والجور والشطط؟ طوبى لمن عرف قدر نفسه وعف لسانه طالبا فكاك رقبته من النار.

إن هذه الكلمة لها معان كثيرة والناس فيها مختلفون والذي يظهر لي أنها لا تخلو من معنيين أساسيين وهما:

١ ـ أنها تُعبّر عمن تغير بأخرة، من خير إلي شر ومن مواقف شريفة إلى مواقف مخزية، وهذا المعنى أكثر شيوعا وانتشاراً في استخدامها في الحالة الراهنة التي قلّ فيها الورع وكثر فيها اللغط.

٢ ـ أنها تعني من اختلاف الفتوى بين حين وآخر حسب ما يستجدّ عند الفقيه من النوازل وكان للشافعي رحمه الله تعالى قولان، قديم وجديد، وقد تجد بكثرة في كتب الفقه مثلاً" قولهم: في المذهب قولان في هذه المسئلة، ولم يزل العلماء حديثا وقديما أن يفتوا فتوى يرون فيها أنها صحيحة ثم يفتون فيما بعد خلاف ذلك، فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئو فلهم أجر واحد لأجتهادهم، وهذا يُعدُّ من مناقبهم وورعهم فالرجوع إلى الحق فضيلة والتمادي إلى الباطل فضيحة.

ومما أثار ضجة في أوساط الساحة الدعوية في آونة الأخيرة محاضرة لشيخ محمد عبدي أمل والتي ألقاها أيام اجتياح الإثوبي في البلاد عام ٢٠٠٨م ، فأورد فضيلته في أثناء محاضرته أدلة قاطعة تبيّن خطورة الانضام إلى الصف العدو وأن ذلك يعتبر خروجا من الملة بَيْدَ أن الشيخ لم يسم شخصا بعينه وإنما أطلق الحكم من غير تعيين، استمع معي هذه الفقرة من محاضرة الشيخ حفظه الله والتي أثارت جدلا واسعا في هذه الأيام.

http://www.youtube.com/watch?v=lceJAO-CiVA

فمرّت الأيام وتعالت الأصوات بالنصائح من الشيخ وغيره من العلماء إلا أن رقعة الخلاف توسعت

بين الإسلاميين حتى أصبح تقارب الأفكار من نسج الخيال.

ففي العام المنصرم والجاري ٢٠١١ ـ ٢٠١٢م وثب جماعة كانوا يتربصون بالشيخ ويتحينون الفرص ليجدوا مكان مغارات ينطلقون منها ويهاجمون على الشيخ ظلما وعدواناً فأخذوا من محاضرة الشيخ التي سبق ذكرها مقاطع يحتجّون بها على تغير الشيخ وأنه تنازل عن مواقفه التي كان معروفا بالأمس، والحقيقة لم يكن ثمَّت هناك اختلاف بين ماضي الشيخ وحاضره، ـ ولا نزكي على الله أحداً والله حسيبه ـ إذ كان مذهب الشيخ حسب علمي به، التفريق بين الحكم بالكفر على الفعل دون تنزيله على الفاعل إلا بعد التحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع، وهذا القيد «توفر الشروط وانتفاء الموانع» ما أكثر من استعماله لجميع الفرق لكن العاملون به قليل.

وقد جاء بعض الغالين في الدين ببدعة لم يسبقها أحد من أئمة الهدى ممن يقتدى به حيث قالوا: لابد من الفعل بفاعل قام بالفعل وأن من فعل فعلا سُمِي بهذا الفعل، فمن أكل سمي آكلا و من شرب سمي شاربا، لذا من فعل بكفر أو قال به فهو كافر بالله العظيم دون النظر إلى الشروط والموانع، والأدلة ببطلان هذا القول معلومة في كتب أهل العلم فلا داعي للإطالة.

وها نحن نورد دليلاً قاطعاً مسموعاً لا يترك مجالا للشك ويرفع اللبس عمن أراد الحق حيث ألقى الشيخ محاضرة في السويد عام ٢٠١٠م ما أشبه الليل بالبارحة، فمذهب الشيخ هو إطلاق الحكم من غير تعيين.

استمع معي الفقرة التالية من محاضرة الشيخ حفظه الله.

http://vodpod.com/watch/4161799-dhibaatadda-ay-ledahay-gaaleysiinta-fadilat-sh-umal-oo-ka-hadlaya

ولا مانع من تكفير الشخص المعين إذا توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع خلافا للمرجئة كما لا يجوز حكم الفعل والفاعل معا بالكفر بل لابد من التفريق بين الفعل والفاعل والقول والقائل خلافا للخوارج، وهذا هو مذهب العلماء قديما وحديثاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (هذا مع أني دائماً ـ ومن جالسني يعلم ذلك مني ـ أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية ..... وكنت أبين لهم أن ما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة (الوعيد)، فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة، كقوله «إن الذين يأكون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة). مجموع الفتاوى ٣/٢٢٩ـ٢٣١.

وإن مما يُستهجن ويُستقبح غاية الإستقباح أن تسمع أو تقرأ عبر شبكة الإنترنت من هنا وهناك متدينا أصبحت أكبر بضاعة يمتلكها كمية من السب والشتم يرددها صباحا ومساء وكلاماً يستحيي منه الجاهل أن يتفوه به فضلا عمن يدّعي أنه مجاهد وناصر للدّين فأفٍ ثم أفٍ لمجاهد ليس له همّ سوى ذكر عيوب الناس ومساويهم ولا يُراعي حرمة لمسلم تَشَيُّبَ في الإسلام

وأفنى عمره بالدعوة ونشر الفضيلة ولا يحترم لشيخ بشيخوخته ولا لعالم بعلمه، ولم يسلم منه كبير ولا صغير، وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط» رواه أبو داود ص، ٤٨٤٣، وحسنه الألباني ٦٧٣/٢ ومَرَدّ ذلك كله هو سوء التربيّة وما نشأوا عليه من انحراف عقديّ ومنهجيّ وسلوكيّ، ويا أسفى على شباب ليس لهم فضية سوى تتبع العورات وبحث المسالب ومن أجل ذلك أنفقوا كل نفيس وغال من وقت وعقل، والحصيلة من وراء ذلك لا يتعدّى أن يقولوا للعالَم: شيخ فلان خرج عن سكة الحديد وفلان قعد مع القوم، علما بأن العلماء والمشايخ لهم دور كبير في نشر الدعوة في الصومال قبل الأزمة وبعدها يكون سبباً لإقالة عثراتهم إن وجد ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل عن تاريخ الدعوة في الصومال وما لاق الدعاة في سبيلها من قتل وسجن ونفي، وأتسائل متى صار الشتم عبادة يتقرّب إلى الله تعالى وكأنهم يطوفون حول بيت الله الحرام من كثرة ما يردّدون الشتم واللعن، وليت شعري كيف شوّه هؤلاء صورة المتدينين لأن العادة جرت أن يكون المتديّن صاحب حياء وأدب، «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» نعوذ بالله من الخذلان.

وأخيراً فليعلم أن من تعرض للناس جرحاً وتعديلاً في ماضيهم وحاضرهم مع عدم الأهليّة في ذلك قد وضع نفسه في موضع يحسد عليه حيث أصبح مكشوفا أمام جماهير الطلبة العلم الذين مكنهم الله التمييز بين الحق والباطل، لذا فلينْأ عن نفسه عن مثل هذا وليدع من تتبع عورات المسلمين عامة وزلات العلماء خاصة ونشرها في المجالس والمنتديات عبر الأنترنت فإن الجزاء من جنس العمل ولا شيئ يعدل السلامة.

بالملح نصلح ما نخاف تغيره فكيف بالملح إن حلت به الغير.

كتبه/ ابن طاهر بن الشيخ